الفصل الخامس

- كان هدف حكومات عهد مبارك تطويق أعناق المصريين بالنفايات العلمية والثقافية والفنية، وتكبيل حاضرنا ومستقبلنا بالقروض الأجنبية، والزج بنا فى مشاريع هابطة، لا تنجب سوى الخسارة، والمزيد من قيود المديونيات.
- يدّعون - على سبيل إشاعة الإحباط - أنه إذا كان لدى الدول الأخرى الرغبة فى التقدم فإن الوقت لن يسمح إلا بتبنى القيم والممارسات الغربية.

obeikan.com

obeikan.com

القلق الأوروبى من فوبيا الإسلام

خرج اليهود من مصر، وتعاقبت على البلاد حكومات ملكية، وحكومات جمهورية، وأعيد تشكيل خارطة العالم العربى على أيدى مستعمريه الإنجليز.. الفرنسيين.. الأمريكان.

فى كل مرحلة من تلك المراحل. كان المستوردون المحليين ينهضون بالأعباء الملقاة على عاتقهم. من حيث إغراق البلاد بصباغات حقائب ثقافة الوهم والخداع لاستنبات الوعى الزائف محلياً حتى يُنمى فى الذات البعد الشخصانى، وبحيث يتمحور المنتج الأدبى والفكرى والاقتصادى حولها لإعلاء فرديتها، ويكون العائد فى النهاية تعميم الأنساق المفرطة فى الأنانية، ثم تخرج من تلك المعجونات المصطبغة.. البيئة فى إطار الوطن الذى قد يعرض على خلفية الإيقاع الاجتماعى – منتج – فى كفة المزادات العلنية.

يزعم المستوردون فى أسواق البيع والشراء أن ذلك يمضى فى خطوة طموحة نحو إقامة الحضارة، ولكن بما أن الحضارة تتحقق بروح المغامرة فإن القائمين عليها – بهذه الكيفية – لا يدركون معنى الخطر المحدق جراء النقل الأعمى والتهافت على المنتج الغربى أياً كان نوعه، وبشكل عشوائى.

مضت كل حقبة فى حياة بلادنا وهى لا تعنى سوى استبدال قيد من الحديد بقيود من النار، وتطويق الأعناق بالنفايات العلمية والثقافية والفنية، وتكبيل حاضرنا ومستقبلنا بالقروض الأجنبية، والزج بنا فى مشاريع هابطة. لا تنجب سوى الخسارة والمزيد من قيود المديونيات.

كان هناك فى بلادنا أناس تستهويهم الخسارة. طالما كانت فواتير المياه

والكهرباء والغاز تسدد من جيوب الشعب.. مثلاً. نبيع الغاز لإسرائيل بربع الثمن المعروض فى الأسواق العالمية وبفرق فى الأسعار يربو على ١٦ مليار دولار فما الذى تصنعه الحكومة الحصيفة الرشيدة لمعالجة هذه الخسائر؟.. لمعالجة الوضع المتردى. بادرت من جانبها برفع قيمة فواتير الاستهلاك المحلى. من خمس جنيهات شهرياً عن الشقة الواحدة إلى إحدى عشر جنيهاً، ويتحول المواطن المصرى من حيث لا يعلم إلى داعم رئيسى لتطوير آلة الحرب الصهيونية، وبذلك يعالج المسئولون الخسائر فى شتى المشاريع. منذ قيام حكومات عاطف عبيد ببيع القطاع العام - الملكية الشعبية - فى مزادات مشبوهة. حتى جاءت حكومة نظيف صاحب مشاريع القرية الذكية فى حكومة مبارك الفاسدة.

العجيب فى الأمر أن المتأمل فى أوضاع هذا الشعب، يجده - عن قناعة ورضى - قد روض نفسه على تعاطى الجوع والحرمان، وصارت لديه ملكات يستفيد من قدرتها على الاهتمام بشد الأحزمة على البطون منذ يوسف والى إلى أن أوقعوه فى نفس فخاخ معارك ١٩٤٨ و١٩٦٧، ١٩٧٣، ولا يزال يشد الأحزمة على البطون أملاً فى نيل حريته وتحريره من ربقة الاستغلال!!

لم يكسب على ما عهدناه شيئاً من ذلك. غير وجهة نظر تتنبأ دائماً بترجيح كفة إسرائيل. بدعم أمريكى.. بدعم أوروبى.. بدعم المجتمع الدولى، وأخيراً تُدعم إسرائيل من أجل نشر ثقافة حضارة العولمة التى بشر بها الرئيسى الأمريكى السابق جورج بوش. بعد أن تعاقبت على العالم العديد من الحضارات.. الحضارة المصرية.. حضارة بابل وآشور.. الحضارة الصينية.. الحضارة الهندوسية.. الحضارة المسيحية.. الحضارة الإسلامية.

من الذى يثق فى سادة الإرهاب العالمى عندما يدعون القيام بصياغة العالم وفق شروط الحضارة العولمية؟

وهلا يعرفون معنى كلمة: الحضارة؟

الحضارة بالنسبة لبرودل: «فضاء»، «مساحة ثقافية»، «إنها توليف من خصائص وظواهر ثقافية»، ويعرفها دور كايم بأنها: «نوع البيئة الأخلاقية، أو المعنوية تضم فى جنباتها عدداً معيناً من الأمم، تمثل فيها كل ثقافة قومية فقط شكلاً من البشرية المتطورة قادرة عليها.. إنها عصارة الشئ فى حالة الكينونة يتبعه الشيء فى حالة الصيرورة».

فهل بيئة الولايات المتحدة التى تغص بالجنس والمخدرات تصلح مهداً صالحاً للحضارة؟.. دعونا نذهب إلى القول بأن نصفها ملائكة ونصفها الآخر من الأشرار فهل الملاك فيهم يذهب إلى أبرشيتهم محلقاً بجناحيه فوق صلبانهم، وفى صحون معابدهم ليغسل قلوب الشباب من أدران الفسوق والخداع، وليدق نواقيس الحق.. الجمال.. الرحمة.. المساواة.. إلخ؟

حين نشير إلى أهمية البيئة والبناء الحضارى وأثر رجال السلطة العقلية، والأخلاقية فيهما، لا يغيب عنا دور «رجال الحرب»:

«فلا أحد ينكر ما للقادة الحربيين من أثر فى حياة الناس؛ فالإسكندر وقيصر ونابليون قد غيروا وجه التاريخ. إلا أن قادة الفكر والروح فى المدى البعيد يظهرون أقوى من أولئك الذين يدفعون بالجسم إلى المسير. إن تأثيرهم أقوى من حيث أن معظم الكائنات الإنسانية تنفر من التأثير الوحشى للقوة الجسدية حين تكون خفية أو يمكن استساغتها عن طريق الدعاية البارعة. ومن ناحية أخرى نجد أن معظم الناس يؤثر فيهم بريق الحياة الأخلاقية والروحية الرائعة».(١)

وكتب الكثيرون فى البيئة التى تنبت الأخلاق الفاضلة والمثل العليا، ولكن القرآن الكريم سبق من كتبوا، ومن تحدثوا عن البيئة، وحذر الإنسان من العبث بها: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف: ٥٦). ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ

(١) ا.ه جونسون (فلسفة وايتهيد) فى الحضارة. ترجمة عبد الرحمن ياغى، المكتبة العصرية، صيدار بيروت ١٩٦٥ - ص ٦٨ و٦٩.

يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٨). ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ⑲ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ⑳ ﴾ (الحجر: ١٩، ٢٠). ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ (الروم: ٤١).

إذن، لم تُفسد الطبيعة نفسها، بل أفسدها الإنسان على نفسه:

«فالشمس فى السماء تعطى الأرض من ضوئها وحرارتها ما لا تقوم الحياة بدونه، وهى تعطى هذا العطاء بلا توقف ولا من ولا أذى، وفق نظام لا يتبدل.

وكذلك القمر يعطى نوره - الذى يستمده من الشمس - للأرض - كما يؤثر فى ظاهرة المد والجزر، وكل هذا لخدمة الإنسان.

وبهذا امتن الله على عباده بقوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ (إبراهيم: ٣٣)، وتأمل قوله (لكم) التى كررها فى الآية، ليدلنا على أن هذه الأجرام العظيمة هيئت لمصلحة الإنسان المستخلف فى الأرض. وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (يونس: ٥). والأرض بغلافها الجوى، قد هيأها الله تعالى لسكنى الإنسان منذ أن أهبط عليها آدم وزوجه ﴿ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (الأعراف: ٢٤).[٢]

وما دام الإنسان ليس بخالد فيها، فلماذا يفسد النسل والزرع ولا يدع كل شيء جميلاً خلقه الله:

تأمل سطور الكائنات، فإنها — من الملأ الأعلى إليك رسائل؟
وقد خط فيها و تأملت سطرها — ألا كلُ شيء خلا الله باطل

(٢) د. يوسف القرضاوى (رعاية البيئة فى شريعة الإسلام) دار الشروق- ط أولى ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠.

obeikan.com

والباطل لغة العصر المفرطة فى البغى والعدوان من جانب الدول العظمى التى ترضخ الشعوب لإرادتها حتى تمتلئ عيون الشراهة التى لا تشبع، وتنوع أساليب الاستغلال الذى يتحكم فى سماوات الله، وفى البحار، وكل ما كانت تدخره الطاقة لصالح البشرية.

وليس لدى الغرب أى وازع أو ما يحول دون أن تُحكم الأسواق العالمية والبلدان – شعوباً وحكاماً – بمنظومة مصطبغة ببريق الحياة الأخلاقية، وتحت مسحة من الطلاء الروحى يشرع القادة العسكريين فى إطلاق مدافعهم من أجل « حضارة عالمية » لأنه بحسب زعمهم: لا يوجد سوى مجرى واحد للحضارة.. (حضارة الغرب)، وأن كل الآخرين إما خاضعون لها أو ضائعون فى رمال الصحراء.

يدعون – على سبيل الدعاية وإشاعة الإحباط – أنه إذا كان لدى الدول الآخرى الرغبة فى التقدم فإن الوقت لن يسمح إلا بتبنى القيم والممارسات الغربية.

على هذا المنوال. ناقش عسكريون واقتصاديون غربيون مختلف الأوضاع العالمية فقرروا أن الحقيقة العميقة هى أن المركز (يقصدون القوى الغربية) الآن أكثر أهمية، والهامش – (بلاد العالم النامى) – قد بات أكثر خضوعاً من أى وقت منذ بداية تصفية الاستعمار القديم، والاستعاضة عن قواعده بإقامة مركز لهم من خلال دعم إسرائيل عسكرياً، واقتصادياً ودبلوماسياً.

فى ذات الوقت يقوم قادة الغرب بدور حمامة السلام وهم يفتحون أبواب جهنم على العراق وباكستان وأفغانستان والسودان وإيران، ثم يذيعون على العالم كلاما يدغدغ عواطف المسلمين فى عملية تخدير العقول والمشاعر. حين يقول الرؤساء ومن بينهم الرئيس الأمريكى باراك أوباما: إن للمسلمين حضارة نحترمها، ونحن لا نحارب الإسلام وإنما نحارب الإرهاب.

بينما تمضى الحملات المستعرة ضدالإسلام والمسلمين بمواد ناسفة ومقذوفات

معبأة بالكراهية والإرهاب إلى التفكير ووضع الخطط لتدمير الأماكن المقدسةفى المملكة العربية السعودية.

فى حديث نشرته مجلة: «ناشيونال ريفيو» الأمريكية قال فيه كاتبه: إن ضرب مكة المكرمة بقنبلة نووية يكون رسالة للمسلمين.

هذه ليست رسالة. إنها آية شيطانية. لأن ما نعرفه عن الرسالة المحمدية إنها تبشر بالخير وإشاعة السلام، واحترام المقدس لدى مختلف الشعوب، أما تلك الأفكار الشيطانية فهى تأجج المشاعر وتضع ميلاداً جديد الحقبة من الصراع.

يؤكد ذلك المفكر الأمريكى «فرنسيس فوكومايا» فى كتابه: «نهاية التاريخ»: إن حركة التاريخ انتهت فى لحظة انهيار الاتحاد السوفيتى، وانفراد الولايات المتحدة بقيادة العالم، وإن الصراع القادم بعد ذلك سيكون بين «الغرب» من ناحية، والإسلام والمسلمين من ناحية أخرى.

يحملنا هذا الصوت إلى بؤرة كان الصراع فيها مشتعل الأوار منذ أن سقطت الإمبراطورية التركية أمام هجوم الدول الأوروبية، وتفككت أوصال العالم الإسلامى ولم تستطع أى دولة عربية أن تحقق لنفسها حضوراً مؤثراً على المستوى الدولى، الشىء الوحيد الذين حققوه أنهم اجتمعوا على التعاون مع الأوروبيين، ونجحوا فى ذلك نجاح الخاسر الذى استبدل طوقاً واحداً بعدة أطواق للغرق (!!) إذ أنهم تخلصوا من الأتراك فاستبدلوا سيدا بأسياد.. إنجليز.. فرنسيون.. أمريكان.. يهود.

إنهم هناك فى بلاد الشمال لا تزال تسيطر على عقولهم أفكار الحملات الصليبية، وكان لا بد لهم من إحياء نيران الصراع، ويلتقى فى هذا، وعلى درب فوكوياما المفكر الأمريكى «صمؤيل هنتنغتون» داعياً لتكريس الهيمنة الغربية، وإتخاد كل ما يتطلب الموقف للتعامل مع الآخر، وهو ما يعنى لديه (الحضارات غير الغربية، وخصوصاً الحضارات الإسلامية، والحضارة الكونفوشيوسية أو

الصينية)، وبالتالى « إن أى تقدم تقدمه هاتان الحضارتان. سيكون على حساب المصالح الغربية ».

إذن فإن أى تقدم تكنولوچى.. عسكرى.. اقتصادى للأمة العربية والإسلامية من الضروى القضاء عليه لصالح الحضارة الغربية لقد فعلوا ذلك مع محمد على باشا حين اتسعت البحار لأساطيله، وحديثاً يحاولون أن يضربوا التقدم النووى الإيرانى، وحتى لو انتهى الصراع الآنى مع إيران على أى وجه من الوجوه فإن بؤر الضغائن المنبعجة فى نفوسهم سوف تنشب نواجذها ولا يعوزهم نسج خيوطها لأنهم مسلحون دوماً بروح العداء لكل ما يمت للإسلام بصلة.

فى مارس ١٩٩٥ نشرت جريدة: « ميدل إيست جورنال » دراسة كتبها: ب.أ. روبيرسون بعنوان « أوروبا والإسلام بين اللغز والحقيقة »، وفيها يحاول الكاتب تأصيل دراسته بالرجوع إلى جذور التاريخ والعلاقة التى كانت بين أوروبا والمسلمين حتى انتهى إلى أن الخطر قد يعود إلى الصدام التاريخى بين أوروبا التى كانت مسيحية، وبين العرب، والعثمانيين بعدهم:

« أما القلق الأوروبى– فى أواخر القرن العشرين – فإنه راجع إلى الثورة الإيرانية فى ١٩٧٩ التى أطاحت بحليف قوى للغرب كانت له أهمية استراتيجية كبيرة حين سقط شاه إيران، وزاد القلق بسبب لغة الثورة الإيرانية المعادية للغرب، وهى لغة لها قاموس خاص بها جاء بمفردات جديدة مثل(الشيطان الأكبر). وجاءت أيضاً بفكر يبرر اختطاف الرهائن والدعوة العلنية إلى تصدير الثورة، واعتبر الغرب أن هذه الثورة ترفض القوانين والمعايير الدولية وتتطلع إلى تغيير البنية القائمة فى الشرق الأوسط، وإن كانت طموحات هذه الثورة – بالنسبة للدول المتقدمة – إذا تم تجريدها من اللغة الحماسية العدائية فإنها لن تختلف عن طموحات شاه إيران الذى كان يريد أن يجعل من إيران قوة إقليمية، غير أن الولايات المتحدة كانت ترى أن تطلعات الشاه وقدراته تتوافق مع استراتيجيتها

العالمية، أما إيران الثورة فقد اعتبرتها الولايات المتحدة خطرا يتهدد النظام الإقليمى والمصالح الغربية».

تمتلك أمريكا القوة فى خلق واقع وإيجاد حالة عامة، يمكنها استنبات مشاعر تكاد تصل إلى درجة الاعتقاد الجمعى، محلياً، وعالمياً وتصنيفها تماشياً مع مصالحها، ومن خلالها تستطيع أن تأخذ القرارات الحاسمة مع المملكة المتحدة، فى القضايا السياسية والأمنية، وتتولى هى الاشتراك مع كل من ألمانيا واليابان إصدار القرارات المهمة فى القضايا الإقتصادية.

تكمن خطورة هذه التربيطات فى دمج القوة العسكرية «الأمنية» بالقوة الإقتصادية المشبعة بمشاعر العنصرية البغيضة:

« ففى كثير من الحالات كانت ممارسة القوة العسكرية الفائقة فى التعامل الدولى بما تتضمنه من عدوان وغزو واستيلاء على أراضى الغير واحتلال واستعمار، تعبيراً فجا عن تخلف حضارى مؤكد للدولة التى تقوم بذلك، والتاريخ القديم والوسيط، والحديث زاخر بحوادث هجوم البرابرة على المراكز المتحضرة وتخريبها، ولدينا فى التاريخ العربى حوادث اكتساح التتار للمدن العامرة العربية». (٣)

وفى التاريخ العربى نجد الحملات الإمبريالية ضد بلدان العالم الثالث التى كان بعضها – كما يؤكد عالم الاجتماع الإنجليزى بيتر رسلى فى كتابه: «العالم الثالث» – أكثر حضارة من الدول الغربية الغازية.

ولدينا فى التاريخ الأوروبى المعاصر ألمانيا النازية بكل آلة الحرب المتقدمة التى كانت تمتلكها، والتى سمحت لها باكتساح القارة الأوروبية. هل كانت ألمانيا النازية أكثر تفوقاً حضاريا من باقى الدول الأوروبية التى تم اكتساحها؟

---

(٣) السيد ياسين (الأسطورة الصهيونية والانتفاضة الفلسطينية) مكتبة الأسرة ٢٠٠١، ص ٢٣٥.

فى جعبة التاريخ ما يجيب عن شتى الاستفسارات المعاصرة. إذ يؤكد أنه مع انهيار حضارة وانقطاع حضارة وانقطاع حضارى. يولد جيل وريث يكون لديه من ثمار التجارب الحس الإنسانى الرفيع، أو هكذا يكون مفترضاً لتعديل السلوك وتنقية أجواء الذوق العام، وليس صيد الثعالب وكل ما هو مفترس بكاف للخلاص من كل ما هو معتاد وراسخ، بل إنما الأهم يأتى من استجماع القدرة على التمييز بين ما هو مؤكد نسبياً، وبين ما هو محتمل، بين نوازع النفس البشرية وإملاءات الطبيعة وبين ما هو أخلاقى ولا عقلى.

من هذه الرؤى تظهر حقائق الحاضر كجزء من تتابع التاريخ، فالماضى يعيش فى الحاضر، والجدل حول الإعتماد على القوة يفضى فى النهاية إلى تدمير الذات، ولقد تجاوزت الحضارة الإسلامية هذه الجسور وازدهرت من القرن السابع إلى الثالث عشر، وقد انتصرت على القوى الشريرة واللامنطقية المتوحشة، كما حققت انتصاراً باهراً على طريق إحياء الوجود الإنسانى المتناغم مع طبيعة الكون عامة، حتى بدأنجم الغرب يسطع ابتداء من عصره الحديث (أوائل القرن السادس عشر):

«فبعد أن أنتج الشرق مفهوم «الغرب» الذى كان حيزاً جغرافياً لممارسة الحوار، وخاصة بالتجارة، وإن رد عليه الغرب جزئياً بالحرب (الصليبية)، وتوسعه الاستعمارى «وراء البحار»، أى فى الشرق تحديداً، وبذلك أصبح الشرق موضوعاً للإزاحة اوالأقصاء باعتباره «البعيد» وليس مجرد «الآخر»، ثم أصبح «موضوعاً» للممارسة الهادفةإلى تكريس «الإقصاء» و«الاستبعاد» من مركز الشعاع الحضارى».(٤)

كان إقصاء الشرق (الإسلام) هدفاً استراتيجياً نَصب الغرب فخاخه وأحكم خططه منذ عدة قرون لإيقاف المد الإسلامى العثمانى إلى بلاد الغرب، حتى

(٤) د. محمد عبد الشفيع عيسي، وآخرون (رؤية إلي المستقبل العربي من التحديث إلي استئناف التطور الحضاري) مركز البحوث العربية - الجمعية العربية لعلم الاجتماع، مكتبة مدبولي ص ١٥٩.

سقطت آخر دولة للخلافة الإسلامية فى غمار الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٧)، ومن قبلها سقطت غرناطة، وإشبيلية، والأندلس، وفى هذه الحروب التى شنت ضد الإسلام باسم الصليب، قُطعت أوصال المسلمين لكى تظفر أوروبا بمعركتى الحرب والتجارة، ولتقيم حضارتها وهى تطبق بقبضتها عسكرياً.. واقتصادياً.. وثقافياً – على الشرق، أى نصف الكرة الشرقى الذى كان مهد اللغات والحضارات والديانات، وبعدما صنعوا الإرهاب العالمى، يتحدثون عن « المقاومة » بإنها إرهاب، وهم يغزون العالم بشرورهم كمسيحيين، والمسيح يبرأ منهم ومن أعمالهم، ثم يرغمون البلاد التى فتحوها على التنصير، ومن لا يستجيب يُقتل:

« ورغم ما فعلته فرنسا « اللادينية » فى محاولة تنصير البربر وفصلهم عن الإسلام.. ورغم حماية « هولندا » لمبشرى الإنجيل وإصرار بلجيكا على تنصير أهل الكونغو.. ومنع الإنجليز للدعاة المسلمين فى كينيا وأوغندا وتنجانيقا وجنوب السودان.. وبرغم أمور كثيرة فإن الأغنياء لا يزالوا يقولون:

إن أوروبا قد رفست الدين.. وصارت دولها علمانية لا دينية، ولهذا تقدمت وترقت ولا سبيل لترقيتنا حتى نترك الدين.(٥)

ولكى لا ننسى. أليسوا هم الذين أشعلوا نار الأحقاد فى جنوب السودان ووزعوا السلاح على متمردى دارفور؟ أليس هم الذين حطموا نهضة العراق باسم الديموقراطية وإشاعة التعددية الحزبية؟ أليسوا هم الذين قادوا حرب التطهير العرقى –حديثاً – فى « سربرينتشا » فى ٧ يوليو ١٩٩٥؟

ألم تقع مذابح الصرب على أيدى المسيحيين ضد المسلمين عموماً فى البوسنة والهرسك.. هل كان ينتظر ألا يكون لهذه الجرائم أى رد فعل إنسانى أو

(٥) د. عبد الودود شلبي (حتي لا نخدع) دار الشروق، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م ص ١٠٩.

على المستوى العربى والإسلامى؟

أى عقل يصدق. أنه فى يوم واحد تم قتل عشرة آلاف مسلم.. إن ما فعله الصرب فى مسلمى البوسنة يساوى فى إجرامه ووحشيته ما صنعته القنبلة الذرية التى ألقتها الولايات المتحدة الأمريكية على «هيروشيما» و«نجازاكى».. ألا يعد ذلك إرهابا؟.. ثم أليست الصور الكاريكاتورية المسيئة للرسول ﷺ على صفحات جرائد الدنمارك تعد من قبيل الإرهاب والزراية بالأديان المقدسة؟ والجرافات الإسرائيلية التى تهدم البيوت على رؤوس أهلها فى فلسطين.. ألا يعد ذلك إرهابا وتطهيراً عرقياً؟

نذكر هنا شهادة المفكر الغربى «ميشون» حين يتحدث عن الحقائق التاريخية وعن تسامح الإسلام، فقد كتب فى «تاريخ الحروب الصليبية»:

منع محمد قواده من قتل الرهبان لأنهم رجال الصلاة ولما استولى عمر على القدس لم يمس النصارى بسوء، وبالمقابل لما صار الصليبيون سادة هذه المدينة المقدسة ذبحوا المسلمين بلا رحمة وحرقوا اليهود.

وما فعله النازى ضد اليهود يصنعون أبشع منه فى حق الشعب الفلسطينى اليوم، ويتوعدون سوريا ولبنان، وكل ما صنعه سادة حكام العرب أنهم من وراء حجاب، أو من حول موائد القمم العربية، يرسلون على حياء أصوات الاستنكار التى لا تعبر سوى عن الرضوخ لتلقى المزيد من الصفعات.

وستظل إسرائيل تمتد وتستطيل بشكل سرطانى طالما كان فى العرب حكاماً تحكمهم الرغبة الأكيدة فى التنازل لإسرائيل عن كل شئ شريطة ألا يتخلوا عن مقاعد الحكم، وما داموا لا يفكروا فى نوع من التضامن العربى وما يترتب عليه من حشد للقدرات ضدها، وبصفة خاصة دول الطوق.

ذلك شيء ترضى عنه إسرائيل لأنه يساعدها على:

١- فرض شرعية الوجود الصهيونى على الأمة العربية والإسلامية.

٢- ضمان الحصول على الواقع الجغرافى الذى يحقق المطامع التوسعية للكيان الصهيونى. ذلك الواقع الغنى. بثرواته النفطية والمعدنية.

٣- ضمان التفوق العسكرى، والعلمى، والاقتصادى لإسرائيل حتى تظل متفوقة على آفاق الوطن العربى.

وهى تسعى حثيثاً للنهوض بمشروعها، تكون أمريكا على الجانب الآخر، تقدم خدمات لإسرائيل، بملاعبة الدول العربية، من أجل تفريغ طاقاتها، ولا تفكر فيما جرى على حدودها، وتشغلها بأهمية إعادة صياغة الأوضاع الداخلية، بإطلاق الحريات الفردية، والتعامل بانفتاح مع مبادئ: دعه يعمل.. دعه يمر، والتخلى عن وضع القوانين الكابحة لشراسة وحركة رأس المال.

فى ذات الوقت تقوم بتغذية النعرات الطائفية، وإعلاء القيمة الفردية لدى مختلف الفرقاء، بحيث يؤدى الاختلاف إلى صدام حتمى، ولا سبيل أمامه سوى تقسيم البلاد إلى دويلات، يمكن من خلالها الاستيلاء على أجهزة الحكم، وإحكام السيطرة على الموارد الطبيعية، وهو ما نجحت فيه تماماً على أرض السودان، وفى دارفور وفى الجنوب.

وبنفس طاقات التفتيت المدمرة. تأخذ الآن بتلابيب «اليمن» لإنهاكه وتحطيم البنى التحتية للدولة، وشطر وحدتها تحت مزاعم محاربة الإرهاب، فبعد أن فرغت من لعبة البحث عن أسلحة الدمار الشامل فى العراق اتجهت بقوات حلف الناتو إلى أفغانستان تحت زعم القضاء على القاعدة وتخليص العالم الحر من شرور بن لادن وقتله والقاء جثته فى البحر ثم اتجهت لتقسيم ليبيا وضرب باب العزيزية مقر معمر القذافى.

ويعلم الله من عليه الدور فى البلاد العربية بعد اليمن. هل تكون سوريا

بدروزها الذين يحلمون منذ مئات السنين بأن تكون لهم دولة مستقلة؟.. أم تكون مصر بشقيها المسلم والنصرانى وبمشاعرها المحتقنة؟.. أو قد تكون لبنان بشيعتها وسنيتها ومارونيتها.. كل شيء ثابت على الأجندة الأمريكية، وكل شيء يتوقع حدوثه.

من الغريب والمتناقضات معاً، فى هذا العالم المتعدد المآرب والمشارب، أن المجتمع العربى، وهو يحاول الانسجام مع إيقاع العصر، وقبول الآخر، إذ بـ «الآخر» يشترط أن يملى علينا مبادئه، وإنقاذا لسمعتنا، ارتضينا بالحوار، من باب أنه لا بأس من التعامل مع الدول التى نشأت فيها الديموقراطيات، التى استعمرت بلادنا، وانتهبت موارد أمتنا طوال عدة قرون.

على الرغم من كل شيء قبلنا «الآخر» لأننا أصبحنا نعى أن النظرة إلى العالم بعين واحدة، تعتبر عماء، وأن النظر إلى المجتمع بعيدا عما يجرى فى العالم، يعتبر نكوصاً إلى الوراء.

ينعكس هذا الموقف على واقع المرجفين والموتورين، فيزدادون ارتعاداً، وتتهدج أصواتهم بالخوف، ولا تزال تأخذهم الراجفة، وهم ينطوون على أن «الإسلام الحضارة المتحدية للحضارة الغربية».

وارتعدت فرائصهم بعد نجاح ثورة ٢٥ يناير، وبالذات حينما أدركوا أن الوعى فى مصر أصبح يأتى من القاع، وليس من أعلى، يأتى من الأمة، وليس من الحكومات العميلة.

بيد أن تراثهم معنا حافل بالمؤامرات، ونكص العهود، والالتفاف المستمر حول رؤوسنا، وأرواحنا، ومقدراتنا، وهذا ما سوف نطالعه فى الصفحات التالية.

●●●●●●

obeikan.com